حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد يوليو – سبتمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

خروج الألفاظ المؤنثة عن النظام اللغوي

ابتسام عبد الحسين سلطان*

جامعة بغداد /كلية التربية للبنات
Woh82@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/5/8
تاريخ التحكيم: 2019/5/9
تاريخ قبول البحث: 2019/5/16
تاريخ النشر: 2022/9/30

المستخلص:

التأنيث قسيم التذكير وفرعه الذي لا يستقل عنه، فلكل مذكر مؤنث يتميز عنه بعلامة لفظية في النظام اللغوي، والنظام اللغوي في اللغة العربية يقرر إضافة التاء مع المؤنث قياسا إلا في أوزان معينة حددها اللغويون وهي فعيل بمعنى مفعول وفعول بمعنى فاعل ومفعال ومفعيل ومفعل. وقد وجدنا الألفاظ المؤنثة تخرج عن هذا النظام فتاتي بعض الكلمات المؤنثة على هذه الأوزان بالتاء، وتأتي الألفاظ المؤنثة من دون تاء على غير هذه الأوزان

وقد أظهر البحث أنّ التاء تأتي مناسبة للدلالة فتضاف الى الوصف المستقبل أو الحال إذا كان أقرب للاسمية منه للوصفية، وتحول فعيلا من الوصفية إلى الإسمية، لأنَّ فعيلا يطلق على ما اتصف به صاحبه، وقد يكون ذلك في الماضي، أو سبق حدوثه، أمَّا فعيلة فيطلق على ما اتُّخذ لذلك، أو سيتَّخذ مستقبلا. فالذبيح ما ذبح، والذبيحة ما اتُّخذ للذَّبح، أما لماذا جيء بفعيل بمعنى مفعول ولم يؤت بمفعول نفسها، فذلك زيادة في تثبيت الأمر فكأنَّه واقع حاله حال الاسم إلّا أنَّه لم يقع بعد.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

مصطلح التأنيث في اللغة العربية

التأنيث قسيم التذكير وفرعه الذي لا يستقل عنه، فلكل مذكّر مؤنّث يتميز عنه بعلامة لفظية في النظام اللغوي.
وعلامات التأنيث اللفظية هي:

1- التاء الطويلة في الفعل الماضي وجمع المؤنث السالم.

2- التاء المربوطة في المفردة المؤنثة.

3- الألف المقصورة في الأسماء المفردة وفي صيغة فعلان فعلى.

4- الألف الممدودة في الأسماء المفردة وفي صيغة أفعل فعلاء.

ويرى بعض الباحثين المحدثين، أن الألف المقصورة والممدودة في العربية، تطور عن تاء التأنيث في السامية الأولى. والسبب في هذا ما رآه من تطور هذه التاء في العبرية والآرامية إلى ألف المد.[1]

والتاء أكثر وأظهر دلالة على التأنيث من الألف لارتباط اسمها بالتأنيث أولا ولكثرتها ثانيا،حتى إنها ترافق الأفعال كما ترافق الأسماء،ولقياسيتها في هذه المواضع .

واختلف البصريون والكوفيون في ماهية هذه التاء وأصلها، فهي تاء عند البصريين لأنها قد ثبت التلفظ بها في الوصل وهي تبدل هاء في الوقف [2] فكل اسم منصرف وقفت عليه في النصب أبدلت من تنوينه ألفا كما ترى، إلا أن يكون حرف إعراب ذلك الاسم تاء التأنيث التي تبدل في الوقف هاء، وذلك نحو: أكلت تمرة، وأخذت جوزة، ولم تقــل: أكلت تمرتا، وأخذت جوزتا، لأنهم أرادوا الفرق بين التاء الأصلية في نحو: دخلت بيتا، وسمعت صوتا، وصدت حوتا، وكفنت ميتا، والوقف على قوله عز اسمه: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} الأنعام: 122، والتاء الملحقة نحو: رأيت عفريتا، وملكوتا، وجبروتا2، وبين تاء التأنيث في نحو "تمرة" و"غرفة".[3] كونها للفرق بين المفرد واسم الجنس كالتى في "شَجَرة" و"نَمْلة". أو للمبالغة كــ "رَاوِيَة" (للرجل الكثير الرواية) و"دَاهية" (للرجل الداهى صاحب الدَّهَاء – بفتح الدال).أو لتأكيد التأنيث كالتى في "نَعْجَة" و"لَبْوَة" [4]

ونحن عندما نقول: إن التاء تقلب هاء، إنما ننظر إلى النتيجة النهائية، لا إلى التطور الصوتي، فإنه ليس ثمة علاقة صوتية بين التاء والهاء، وإنما تطور المسألة أن التاء سقطت حين الوقف على المؤنث، فبقي المقطع السابق عليها مفتوحا ذا حركة قصيرة. وهذا النوع من المقاطع، تكرهه العربية في أواخر الكلمات، فتتجنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت. وهكذا يبدو الأمر كما لو أن تاء التأنيث قد قلبت هاء، على أن الحقيقة هي أن التاء قد سقطت لعلة، وأن الهاء قد جاءت لعلة أخرى! فليس بينهما تبادل صوتي، كما ترى!.

ولأن هذه التاء تقلب هاء في الوقف –كما ذكرنا– رسمت في الإملاء العربي على صورة الهاء، فإن كل كلمة تكتب في الخط العربي، كما ينطق بها[5]

وإضافة على ما سبق فان وجود التاء في نهاية الفعل الماضي (هي كتبت) وبداية الفعل المضارع (هي تكتب وانت تكتبين)، ووجود هذه التاء في نهاية جمع المؤنث السالم يؤكد الرأي البصري بانها تاء التأنيث.

والتاء التي تدخل على الأسماء فتميز مؤنثها من المذكر لأنها تلحق الصفات المؤنثة نحو: سالم سالمة، ومسلم مسلمة، ومنطلق منطلقة، ومتعلم متعلمة، ومستسلم مستسلمة...وغير ذلك من الأوزان الصرفية، فدخولها قياسي إلا أنه توجد أوزان خاصة بصفات بدلالات معينة لا تدخلها التاء للتمييز بين المذكر والمؤنث فاذا لحقتها التاء كان المقصد شيئا آخر غير التمييز بين المذكر والمؤنث كقصد المبالغة في مثل علّامة وملولة [6]

الأوزان الخاصة بالمؤنث:

1-فعيل بمعنى مفعول نحو: رجل جريح وامرأة جريح بمعنى مجروحة، فإذا كان فعيل بمعنى فاعل لحقته التاء نحو امرأة رحيمة أي راحمة.[7]

2-فعول إذا كان بمعنى فاعل نحو: رجل صبور وامرأة صبور، لأنها بمعنى صابرة، فإذا كان فعول بمعنى مفعول لحقته التاء نحو: جمل ركوب وناقة ركوبة، لأن المعنى مركوبة.

3- مفعال نحو: منحار و مذكار، قال "الخليل" إن هذا البناء لا يدخله علامة التأنيث؛ لأنّه للمبالغة، وأنه لم يجئ عن العرب منه عدا معزابة. وقد زاد "ثعلب" معه: مجذامة ومطرابة، والذي أراد "الخليل" في هذا؛ أنه يجب أن يكون لفظ المؤنث في هذا المثال كلفظ المذكر، مثل المرأة : مذكار ومئناث. ولا تلحق به تاء التأنيث للأنثى. وهذا الذي روي عن العرب في هؤلاء الكلمات إنما زيدت فيه الهاء توكيدا للمبالغة، لا فرقا بين الأنثى والذكر؛ ألا ترى أنهم قالوا: رجل مجذامة، ورجل معزابة، فجاء وصفا للاسم المذكر خاصة. والمجذام: هو الشديد السير القطاع للسفر. والجذم: القطع، يقال: جذمته أجذمه جذما. والمعزابة: الرجل الذي يطيل العزوب عن أهله، أي يغيب عنهم في الرعي [8]

4-مفعيل نحو: معطير ومسكين. ومن ذلك قولهم رجلٌ منطيق، ورجلٌ مِعطيرٌ، وامرأةٌ مِعطيرٌ. لم يُدخلوا الهاء في مِفعيل.

وعلّل أبو بكر الأنباري أنهم لم يُدخلوا الهاء في مفعال ومفعيل ؛ بأنه ليس بمبني على الفِعل"، أي أنه ليس اسم فاعل حتى يؤنث [9].

5-مفعل نحو: مغشم (عنيد).[10]

أولا /فعيل بمعنى مفعول

وزن فعيل من الأوزان التي تتعدد معانيها بل أنها أكثر الأوزان التي تتعدد معانيها فهي تدل على اسم الفاعل نحو شريف،وهي تدل على المبالغة في اسم الفاعل لأنها من الأوزان القياسية للمبالغة في اسم الفاعل نحو عليم ورحيم بمعنى عالم وراحم، و أنّ فعيلا يجيء بمعنى مُفعَل وبمعنى مُفعِل أما مجيئه بمعنى مُفعَل، فنحو: أعقدت العسل فهو عقيد أي معقد، وتقدمت له الإشارة إلى ذلك في الباب المذكور أيضا، وأما مجيئه بمعنى مُفعِل فقد قال إنه قليل، وذلك نحو: سميع بمعنى مُسمِع، قال الشاعر:

أمن ريحانة الدّاعي السّميع... يؤرقني وأصحابي هجوع

ومنه عذاب أليم بمعنى مؤلم، وأما مجيئه بمعنى مفاعِل، وذلك نحو جليس وقعيد وخليط بمعنى مجالس، ومقاعد

-تأتي صفة مشبهة إذا اشتقت من الفعل اللازم نحو : كريم وجميل وتأتي للدلالة على اسم المفعول نحو، قتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح، وتأتي للدلالة على المصدر الدال على صوت أو سير، نحو: صهيل ودبيب.

وعندما تكون فعيل دالة على المفعول لا يجوز تأنيثها، يقول سيبويه :" وأمّا فعيل إذا كان في معنى مفعول فهو في المؤنث والمذكر سواء " [11]

ويُفهم من كلام سيبويه أنّ دلالة فعيل على المفعولية يجب أن تكون ثابتة حقيقية حاصلة فالمجروح قد جرح والمقتول قد قتل، ثم حصل الإخبار بها، يقول سيبويه :" وتقول شاة رميٌّ إذا أردت أن تخبر أنها قد رميت " [12]. أما إذا كان المراد ما سوف يكون من فعل فإنه يجوز وضع التاء، فيقال هذه ذبيحة فلان أي (ما سوف يذبحه)، قال سيبويه " وتقول هذه ذبيحة فلان وذبيحتك وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنّها قد ذُبحت، ألا ترى أنّك تقول ذلك وهي حيَّة فإنما هي بمنزلة ضحية " [13]. وقالوا (بئس الرمية الأرنب) إنما تريد بئس الشيء مما يرمى، فهذه بمنزلة الذبيحة، وقالوا نعجة

نطيح، ويقال نطيحة شبهوها بسمين وسمينة، وأما الذبيحة فبمنزلة الحلوبة وإنَّما تريد مما يحلبون، فيجوز أن تقول حلوبة ولم تحلب، وركوبة ولم تركب [14]، فالرمية هي المرمي من الأرنب الذي لم يرمَ بعد والمفعولية غير متحققة لأن الكلام تنبيه إلى وضاعة رمي الأرنب، وكذلك النطيحة والذبيحة فهي صفات لم تتحقق فهي كفعيل التي بمعنى فاعل نحو : سمين سمينة.

ويبدو كلام سيبويه في هذا الشأن واضحا جدا فهو ينبه إلى ثبوت الصفة مع فعيل بمعنى مفعول مما يجعلها تقترب من الإسمية فهذه الصفات متحققة سابقا لا تحتاج التاء ويمكنها الاستغناء عنها كما أن الاسم لا يحتاج التاء لتمييز المذكر من المؤنث، فاللغة العربية تحتوي على كثير من الأسماء المؤنثة بلا علامة تأنيث، وهو ما يسمى بالمؤنثات السماعية، مثل: عين وأذن وعضد وكتف وذراع وقدم وكف وظفر وجناح وكبد وضلع وعقب ودلو وسوق وأرنب ونعل وضبع. وغير ذلك كثير في العربية.

ويقول أبو بكر بن الأنباري عن النعت المصروف من مفعول إلى فَعيل عندما لا تدخلُه الهاءُ؛ كقولك: كفٌّ خضيبٌ، وعينٌ كحيلٌ، ولحيةٌ دهينٌ. والتي أصل كل منها مخضوبة ومكحولة ومدهونة " فلما عُدِلَ عن مفعول إلى فعيلٍ لم تدخله الهاءُ؛ ليكون ذلك فرقاً بينه وبين ما الفِعلُ له؛ كقولك: امرأةٌ كريمةٌ وأديبةٌ وظريفةٌ"[15]

فإذا كانت الكلمة التي وزنها فعيل بمعنى فاعل فهي صفة لم تتحقق بعد ولذلك تدخلها التاء كما تدخل الفعل، ولذلك أيضا قاسوا ما لم يتحقق من فعيل بمعنى مفعول وأدخلوا التاء عليها ك (رمية).

يقول السيرافي: "والعلة فيه عندي أن ما قد حصل فيه الفعل يذهب به مذهب الأسماء، وما لم يحصل فيه يذهب به مذهب الفعل لأنه كالفعل المستقبل... تقول زيد ميت إذا حصل فيه الموت ولا تقول مائت " [16]

ويقول أيضا "وإنّما يلزم الفرق بين المؤنث والمذكر في ما كان جاريا على الفعل لأن الفعل لا بدّ من تأنيثه إذا كان فيه ضمير المؤنث كقولك (هند تذهب) و(موعظة جاءتك تجيئك) وإنّما صار في المستقبل ألزم وأوجب، لأنّ تاء التأنيث لا توجب تخفيفا في اللفظ لأنه عدول من ياء إلى تاء، والتاء أيضا أخفّ، وفي الماضي إذا تركت علامة التأنيث فقيل (موعظة جاءك) فإنّما يسقط حرف ويخفّ لفظ الفعل، فإذا كان الاسم محمولا على الفعل لزم الفرق بين المؤنث والمذكر" [17]. فهو هنا يؤكد الحاجة إلى وضع التاء مع الاسم إذا كان دالا على الحدث كالفعل الماضي الذي يتوجب معه وضع التاء عندما يكون فاعله ضميرا عائدا على مؤنّث متقدم نحو (هند ذهبت).

أي أنّ صيغة فعيل بمعنى مفعول تدلّ على الثبوت أو على معنى قريب منه بخلاف صيغة مفعول الدالة على الحدوث والتي تحتمل الحال والاستقبال، ومن أمثلة ذلك قــول الذاهب إلى الحرب اعلمي يا أمّاه أني مقتول من يومي. فصيغة فعيل لا تطلق إلا إذا اتصف صاحب الصفة بها فلا تقول قتيل لمن لم يقتل ولا جريح لمن لم يجرح " [18] فالثبوت دلالة من دلالات فعيل والمبالغة دلالة أخرى لأنها من الصيغ القياسية للمبالغة.

فهذه هي الأسس التي وضعها اللغويون فعيل بمعنى فاعل تدخله التاء مع المؤنث، وفعيل بمعنى مفعول لا تدخله التاء مع المؤنث إلا إذا انتقل من الماضي إلى المستقبل، ومن الثبوت إلى التجدد، إلا أننا نجد في القرآن الكريم ما يخالف هذا الكلام فنجد فعيلا من دون التاء مع المؤنث مع أنّها بمعنى فاعل وليست بمعنى مفعول.

ومما ورد في القرآن الكريم على صيغة فعيل من دون تاء مع المؤنث قوله تعالى: { إن رحمة الله قريب من المحسنين } الأعراف 56، وقوله تعالى : { وما يدريك لعل الساعة قريب} الشورى 17.

وكلمة قريب في الآيتين وصف لمؤنث إلا أنها مذكر، وقد وجهت هذه اللفظة هنا توجيهات عديدة منها أن تكون وصفا للمضاف إليه (لفظ الجلالة)أو أن تكون من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه بمعنى أن رحمة الله شيء قريب

وفسّر الفراء تذكير قريب بأنّه يعود الى دلالته على القرب المكاني لا قرب النسب، يقول :" ورأيت العرب تؤنّث القريبة في النسب لا يختلفون فيها، فاذا قالوا دارك منا قريب، أو فلانة منك قريب في القرب والبعد ذكروا وأنثوا، وذلك

أنّ القريب في المعنى وإن كان مرفوعا فكأنه في تأويل : هي من مكان قريب، فجعل القريب خلفا من المكان.[19] أي أن الفراء أجاز تذكير قريب وتأنيثه إذا كان بمعنى القرب المكاني وأوجب تأنيثه إذا كان دالا على القرب في النسب، إلا أنّ تأمل نصه يرينا أنه يقدر موصوفا محذوفا هو مكان، وقريب يخلفه أي يقوم مقامه، مما يؤكد أنه لا علاقة للمعنى المعجمي بالتذكير والتأنيث.

وفسّرت بأنّ هذه الصفة لمذكر وأنّ رحمة بمعنى إحسان[20] أو فضل أو مطر، يقول أبو بكر الأنباري " ويجوز أنْ يكون ذكره على معنى: إن فضلَ الله قريبٌ، وقال الأخفش: هو محمول على معنى: إنّ مطر الله قريبٌ. [21]

وقيل: إنّ تذكير "قريب" حاصل بسبب أن الرحمة مؤنث مجازي؛ وهذا تخريج الجوهري، وهو فاسد؛ لأن التأنيث المجازي يبيح تذكير الفعل المسند إلى المؤنث المجازي، فأما الذي يسند إلى ضميره؛ فلا يجوز تأنيثه، والوصف –هنا– مسند إلى ضمير الرحمة.[22]

وقيل هو مقيس على فعيل بمعنى مفعول التي تحذف منها التاء قياسا، قال ابن الحاجب : "لما كان فعيل تحذف منه التاء في المؤنث وهو بمعنى مفعول شبه به فعيل وإن كان بمعنى فاعل لموافقته في اللفظ " [23] وقيل ليس المراد أنه بمعنى قارب بل بمعنى اسم الفاعل العام، فكان حقه أن يكون بالتاء، ولكنهم أجروه مجرى فعيل بمعنى مفعول، ولما كان فعيل أخف استغني به عن فاعل ك (جليل) كراهية منهم لثقل التضعيف في (جالل)[24]

وفسّره الحلبي بأن فعيلا التي بمعنى فاعل هنا مقيسة على فعول بمعنى فاعل نحو صبور، قال: فعلى هذا لا يكون فعيل بمعنى فاعل حمل في ترك التاء على فعيل بمعنى مفعول...لأنّ الحمل على ما كان بمعنى فاعل أولى لاشتراكهما في ذلك بخلاف حمله على فعيل بمعنى مفعول لاختلاف المدلولين، بخلاف حمله على فعول؛ لاتفاق المدلولين في كونهما للمبالغة في فاعل".

واستدل بذلك على " أنّ المؤنث قد يذكر والمذكر قد يؤنّث أي يستعمل كلاهما استعمال الآخر حملا على المعنى، فمن تذكير المؤنث قولهم: ثلاثة أنفس، وذلك لمراعاة المعنى فكأنّه قال: ثلاثة أشخاص، ومن تأنيث المذكر قولهم: «جاءته كتابي» فاحتقرها" [25]

ومن ذلك قوله تعالى :." قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ" أَيْ بَالِيَةٌ. رَمَّ الْعَظْمُ فَهُوَ رَمِيمٌ وَرِمَامٌ. وَإِنَّمَا قَالَ رَمِيمٌ وَلَمْ يَقُلْ رَمِيمَةٌ، لِأَنَّهَا مَعْدُولَةٌ عَنْ فَاعِلَةٍ، وَمَا كَانَ مَعْدُولًا عَنْ وَجْهِهِ وَوَزْنِهِ كَانَ مَصْرُوفًا عَنْ إِعْرَابِهِ، كَقَوْلِهِ: { وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا} [مريم: 28] أَسْقَطَ الْهَاءَ، لِأَنَّهَا مَصْرُوفَةٌ عَنْ بَاغِيَةٍ.[26]

واختلف في بغيّ التي في قوله تعالى {وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً} مريم 28 فقد عدَّها الأخفش [27] مثل قولهم "مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ".

وقال الشوكاني وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: إنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ أَوْ مَفْعُولٍ وَهُوَ يَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ كَمَا قِيلَ فِي جَرِيحٍ وَصَبُورٍ. [28]

أَيْ بَاغِيَةٌ. وَقِيلَ: أَصْلُهُ فَعُولٌ بَغُوِيٌ فَوَقَعَ إبْدَالٌ وَإِدْغَامٌ."[29] قلبت الواو ياء وأدغمت الياء8 في الياء، ثمَّ قلبت الضَّمَّة التي في العين من "بَغِيّ" كسرة، لتصحَّ الياء. والدليل على أنَّ بَغِيًّا: "فَعُول" كونه للمؤنَّث بغير تاء. قال الله تعالى9: {وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}. ولو كان بَغِيّ: "فَعِيل" لكان بالتاء [30]*

والصحيح عندي أنْ تكون فعولا بمعنى فاعل فتكون مناسبة للقياس لأن فعولا بمعنى فاعل لا تصحبها التاء، وتكون موافقة للمعنى الذي قاله أكثر المفسرين بأنَّها زانية أو باغية، وهو ما أراده قومها وهم يلومونها، وليست بمعنى مبغيّة يطلبها الرجال الذي قاله أبو حيّان [31]

في مقابل ذلك نجد فعيلا بمعنى مفعول التي يستوي فيها المذكر والمؤنث فلا توضع تاء التأنيث معها قد جاءت في القرآن الكريم وفيها تاء التأنيث نحو قوله تعالى : { كل نفس بما كسبت رهينة } المدثر 38

وقد فسّر بأنّ صيغة "فعيل بمعنى فاعل أي ثابتة مقيمة "[32] فعلى هذا لا شاهد فيها، وهي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنّما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك"[33]إلا أنّ أكثر المفسرين فسروها بمفعول ك مرتهنة أو مأخوذة نقلا عَنْ الإمام عَلِيٍّ يَعْنِي: «مُرْتَهَنَةٌ»[34] ومأخوذة بعملها نقلا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [35]

الهاء في رَهِينَةٌ للمبالغة، أو على تأنيث اللفظ لا على معنى الإنسان، وَقال أبو حيان بعد أن نقل قول النسفي وابن عطية السابقين " وَالَّذِي أَخْتَارُهُ أَنَّهَا مِمَّا دَخَلَتْ فِيهِ التَّاءُ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ فِي الْأَصْلِ كَالنَّطِيحَةِ "[36].

فهو يشير إلى قوله تعالى {والنطيحة وما أكل السبع } المائدة 3، إذ يقول عنها "النَّطِيحَةُ: هِيَ الَّتِي يَنْطَحُهَا غَيْرُهَا فَتَمُوتُ بِالنَّطْحِ، وَهِيَ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ صِفَةٌ جَرَتْ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ فَوَلِيَتِ الْعَوَامِلَ، وَلِذَلِكَ ثَبَتَ فِيهَا الْهَاءُ[37]

قال ابن يعيش "وقالوا: "امرأةٌ جَريحٌ"، و"قَتِيلٌ". فهذه الأسماءُ إذا جرت على موصوفها، لم يأتوا فيها بالهاء، وإذا لم يذكروا الموصوف، أثبتوا الهاء خَوْفَ اللبس، نحو: "رأيتُ صبورةً، ومعطارةً، وقتيلة بني فلانٍ"، فهذا معنى قوله: "ما جرى على اسم"، أي: ما تقدَّمها موصوفٌ""[38]

يظهر لنا مما سبق أنّ التاء تأتي مع الوصف المستقبل أو الحال إذا كان أقرب للاسمية منه للوصفية، وأنها تحول فعيلا من الوصفية إلى الإسمية، لأنَّ فعيلا يطلق على ما اتصف به صاحبه، وقد يكون ذلك في الماضي، أو سبق حدوثه، أمَّا فعيلة فيطلق على ما اتُّخذ لذلك، أو سيتَّخذ مستقبلا. فالذبيح ما ذبح، والذبيحة ما اتُّخذ للذَّبح "[39]

وبناءً على ذلك نقول رميم للعظام هو ما رُمّ، وقريب للرحمة والساعة ما كان مقتربا أو في حكم المقترب المتحقق، وفعيلة ما أعدَّ لذلك كالنطيحة والرهينة، أما لماذا جيء بفعيل بمعنى مفعول ولم يؤت بمفعول نفسها، فذلك زيادة في تثبيت الأمر فكأنَّه واقع حاله حال الاسم إلّا أنَّه لم يقع بعد.

ويؤكد ذلك تذكير ما جاء على صيغة فاعل ومفعل ومنفعل من أسماء الفاعل الخاصة بالمؤنث نحو حائض ومرضع ومنفطر، على الرغم من أنّ صيغة فاعل لم تذكر مع الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث، والذي يؤكد ذلك أكثر إعادة تأنيثه في أحيان قليلة مما يلفت انتباه الباحث، فلماذا تركت التاء غالبا وهو مخالف للقياس ؟ ولماذا تعود في بعض المواضع ؟.

مذاهب النحويين في الألفاظ المشتركة بين المؤنث والمذكر

انقسم اللغويون في تفسير الألفاظ المشتركة بين التأنيث والتذكير ثلاثة مذاهب:

أولا / مذهب الكوفيين

إنَّ هذه الألفاظ لم يقع فيها اشتراك بين المذكر والمؤنث، والتاء يؤتى بها للفرق فلا حاجة إليها هنا[40] فالتاء تحذف إذا لم يكن هناك اشتراك، وتثبت إذا كان هناك اشتراك، فيقال: امرأة قاعدة إذا كان القعود ضد الجلوس لاشتراك الرجال والنساء في ذلك، ويقولون امرأة قاعد للتي قعدت عن الحيض، ولا يدخلون التاء لأنّه لا حظَّ للرجال فيه.

وضعَّف كثيرون هذا الرأي والسبب وجود كلمات على هذه الصيغة يوصف بها المذكر والمؤنث معا نحو رجل عاقر وامرأة عاقر، وناقة ضامر وجمل ضامر و بازل وناصل وعاشق[41]

أحدُها: أنّ ذلك لم يطّرد فيما كان مختصًّا بالمؤنّث، بل قد جاء أيضًا فيما يشترك فيه الذكَرُ والأنثى، قالوا: "جملٌ بازلٌ"، و"ناقة بازل"، و"جمل ضامر"، و"ناقة ضامر". قال الأعشى:

808 – عَهْدِي بها في الحَيّ قد سُرْبِلت... هَيْفَاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضامرِ

فإسقاط العلامة ممّا يشترك فيه القبيلان دليلٌ على فسادِ ما ذهبوا إليه، وإن كان أكثرُ الحذف إنّما وقع فيما يختصّ بالمؤنّث.

الثاني: أنّه ينتقض ما ذهبوا إليه بقولهم: "مُرْضعَةٌ"، بإثبات التاء فيما يختصّ بالمؤنّث.

الثالث: أنّ التاء مُلْحَقٌ مع فعل المؤنّث، نحو: "حاضت المرأةُ"، و"طلُقت الجاريةُ"، ولو كان اختصاصُه بالمؤنّث يكفي فارقًا، لم يفترق الحالُ بين الصفة والفعل،

ثانيا/مذهب سيبويه

هذه الأوصاف صفة لموصوف مذكر، أي شيء والشيء مذكر فكأنَّهم قالوا هذا شيء حائض ثم وصفوا به المؤنَّث كما وصفوا المذكر بالمؤنَّث فقالوا رجل نكحة "[43]امرأةٌ حائضٌ، وهذه طامثٌ، كما قالوا: ناقةٌ ضامرٌ، يوصف به المؤنَّث وهو مذكر. فإنَّما الحائض وأشباهه في كلامهم على أنَّه صفة شيء، والشيء مذكر، فكأنهم قالوا: هذا شيء حائضٌ، ثمَّ وصفوا به المؤنَّث كما وصفوا المذكر بالمؤنَّث فقالوا: رجلٌ نكحةٌ.

ثالثا/ مذهب الخليل

هذه الصفات بمعنى النسب كدارع ونابل ولم تجر على الفعل فتقول مرضع إذا أردت ذات رضاع ولم تجرها على أرضعتْ ولا ترضع فإذا أراد ذلك قال مرضعة، وتقول هي حائضة غدا [44] ومثله كل مؤنّث نعت بغير هاء نحو طامث وطالق [45]

وَاعْلَم أن قَوْلهم: (عيشة راضية)، ورَجل طاعم كاس إنَّمَا هُوَ على ذَا مَعْنَاهُ: عيشة فِيهَا رضَا، ورَجل لَهُ طَعَام وَكِسْوَة وَكَذَلِكَ هم ناصب إنَّمَا هُوَ: فِيهِ نصب وَكَذَلِكَ كل مؤنث نعت بِغَيْر هَاء؛ نَحْو: طامث، وحائض، ومئتم، وَطَالِق فَمَا كَانَ من هَذَا مُبينًا على فعل فَهُوَ كَقَوْلِك: ضربت / فهى ضاربة، وَجَلَست فهى جالسة قَالَ الله – عز وَجل –: {يَوْم ترونها تذهل كل مُرْضِعَة عَمَّا أرضعت} الحج 2، لِأَنَّهُ جَاءَ مُبينًا على (أرضعت) [46]

وَمَا كَانَ على غير فعل فعلى معنى النّسَب الذى ذكرت لك وَذَلِكَ أَنَّك تُرِيدُ: لَهَا حيض، وَمَعَهَا طَلَاق وتأويله: هي ذَات كَذَا فَأما قَول بعض النَّحْوِيين: إنَّمَا تنْزع الْهَاء من كل مؤنث لَا يكون لَهُ مُذَكّر، فيحْتَاج إِلَى الْفَصْل فَلَيْسَ بشيء؛ لِأَنَّك تَقول: رجل عَاقِر، وَامْرَأَة عَاقِر وناقة ضامر، وَبكر ضامر وهذا الرأي هو الأقرب الى الدلالة إذا نظرنا إلى الفعل الذي يؤنَّث وجوبا مع المؤنث الحقيقي وجوازا مع المؤنث غير الحقيقي فنقول طلع الشمس وطلعت الشمس ولا نقول إلا طلعت هند لأن الحقيقي منسوب للتأنيث حقيقة والمجازي غير منسوب الا في الاستعمال.

ومما ورد من هذه الصيغة في القرآن الكريم قوله تعالى "{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} يونس: 22، فلم يؤت بالتاء معه وإن كان وصفا لمؤنث لأنه لم يجر على الفعل وإنما يلزم الفرق ما جرى على الفعل في دلالته على التجدد لأنّ الفعل لا بدّ من تأنيثه إذا كان فيه ضمير للمؤنّث حقيقيا كان أم غير حقيقي. يقصد أنّها صفة ثابتة للريح وليست متجددة حتى تذكر التاء معها وجوبا كما تذكر مع الفعل الذي أضمر فيه ضمير الفاعلة نحو هند طلعت والشمس طلعت.

ومنه أيضا قوله تعالى " {السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا } [المزمل: 18] أي ذات انفطار وليس على معنى حاضت وانفطرت[47]

فاذا كان الوصف مبنيا على الفعل أي دالا على ما دلّ عليه الفعل من حدوث وتجدد لحقته التاء عند الخليل والمبرد ومنه قوله تعالى {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ

بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } الحج: 2 وذلك لأنّ الذهول يكون أثناء الرضاع لهول الحدث فلذلك لحقته التاء، أما إذا لم يكن الوصف دالا على الحدث، وإنما كان الوصف ثابتا للمرأة فإنه يستغنى عن التاء معه

وقالوا حائضة غدا وطالقة غدا لأنّه شيء لم يثبت وإنما هو إخبار على طريق الفعل كأنّك قلت تحيض غدا وتُطلّق غدا فلما احتمل حائض دخول التاء عليها علمنا أنها مذكر. قال الشاعر:

رأيت ختون العام بالعام قبله ... كحائضة يزنى بها غير طاهر (1)

فقد جاء بحائض بالتاء، وجاء بطاهر بلا تاء وكذلك يقال امرأة طالق وطالقة، مما يعني أن هذه الصفات ليست مختصة بالمؤنث وانّما توضع التاء فيها لقصد التأنيث فاذا أردنا تأكيد الصفة للموصوفة وثباتها لها أو تأكيد نفي الصفة عن الموصوفة حذفنا التاء كما رأينا في رميم وبغي، وإذا أردنا أنها غير ثابتة أو مختصة بزمن محدد وضعنا التاء لأنّ التاء ليست من أصل الكلمة كما رأينا في مرضعة وحائضة.

Abstract

Logout language linguistic system feminized

By Ebtesam Abd Alhussain Sulttan

Feminization budge recalled and wires which don't resign him, every reminder on his verbal marker features feminine in the linguistic system, and Arabic language's linguistic regime decides to add t with feminine compared only in certain weights identified by linguists and vail meaning effect wevoul meaning wemfaal actor and mavail and is still active. Feminine words have found out about this system my girl some feminine words on these weights to the essential, and feminine words without v on other research showed that the weights t come suited to denote it is added to the description or if closer to par for metadata, turning Vaila from nominal descriptive, because vaila premeditation is called, and it may be that in the past, or have been, either it stared it shoots taken, or will take in the future. The swill slaughter and carcass for slaughter taken, as to why she was brought bevail meaning not effect produced by herself, that increase in installed it like a reality if condition name however is yet to come

الهوامش:

1- ينظر: تصحيح الفصيح 435/1

2-ينظر :حاشية الصبان 134/4، الإيضاح في شرح المفصل527/1.

3-سر صناعة الاعراب 314/2.

4- المطالع النصرية 290/1

5-المدخل الى علم اللغة 275/1.

6-ينظر:كتاب سيبويه 638/3.

7-ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 235/3.

8- ينظر بحوث ومقالات 1/ 258.

9- ينظر المذكر والمؤنث 120/1

10- كتاب سيبويه640/3.

11-الكتاب 647/3.

12- الكتاب 648/3.

13-الكتاب 647/3.

14-ينظر: الكتاب 648/3.

15- المذكر والمؤنث 120/1

16-شرح كتاب سيبويه 647/3.

17-المصدر نفسه 383/3.

18- معاني الأبنية 61.

19-معاني القرآن للفراء 275/1

20-ينظر الكشاف 170/4

21-المذكر والمؤنث 27/2

23-الإيضاح في شرح المفصل 533/1

24- ينظر البحث الدلالي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم 220-221.

25- تمهيد الفوائد في شرح تسهيل المقاصد 9/ 46

26- تفسير القرطبي 15/ 58

27- معاني القران 2/ 438

28- فتح القدير 4/ 440

29- التحرير والتنوير 12/ 136

30- الممتع الكبير في التصريف ص: 349

31ـــــالبحر المحيط181/6

32ـــــالمفردات مادة رهن 368 وتفسير النسفي 3/ 567

33ـــ تفسير مجاهد 684

34ـــــ تفسير الطبري جامع البيان ط هجر 23/ 448

35ـــــ ينظر: لطائف الإشارات 651/3 تفسير الواحدي 1151/1تفسير السمعاني 98/6 ابن كثير 384/3تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 5/ 398

36- البحر المحيط في التفسير 10/ 337

37- البحر المحيط في التفسير 4/ 155

38-شرح المفصل لابن يعيش 3/ 375وينظر النحو الوافي 4/ 597

39- معاني الأبنية 65

40-.ينظر :الإنصاف مسألة 111 وينظر المذكر والمؤنث 119/1

41-ينظر المقتضب 164/3

42- شرح المفصل لابن يعيش 3/ 374وينظر تمهيد القواعد في تسهيل الفوائد4624/9

43-الكتاب91/2 وينظر 3/ 383

44-الكتاب 92/2

45-المقتضب 3/ 163

46- المقتضب3/ 164

47-ينظر شرح المفصل 518/2

المصادر

1-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين،المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـــ)،الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى 1424هـــ - 2003م

2-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

3-البحر المحيط البحر المحيط في التفسير،المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: 1420 هـ

4-بحوث ومقالات في اللغة،المؤلف: رمضان عبد التواب (المتوفى: 1422هـ)،الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة،الطبعة: الثالثة 1415هـ-1995م

5-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»

المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)،الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس،سنة النشر: 1984 هـ

6-تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المقاصد المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)

المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى - 1422 هـ

7-تفسير الطبري جامع البيان جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)

المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م

8- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م

9- تفسير مجاهد،المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)

المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل،الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م

10-تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)

حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي،راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998

12-تصحيح الفصيح تصحيح الفصيح وشرحه، المؤلف : أبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (المتوفى: 347هـ)

المحقق: د. محمد بدوي المختون،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة،عام النشر: 1419هـ - 1998م

13- شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»،المؤلف: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: 778 هـ)

دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون،الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية،الطبعة: الأولى، 1428 هـ

14-حاشية الصبان حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك،المؤلف: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: 1206هـ)الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان،الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م.

15-سر صناعة الاعراب تأليف أبي الفتح عثمان ابن جني ت 392هـ تحقيق علاء حسين أبو شنب، المكتبة التوقيفية، 2012م.

16-شرح كتاب سيبويه أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: 368 هـ)،المحقق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، 2008 م

17-شرح المفصل للزمخشري،المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ)،قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

18-فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)

الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

19-الكتاب المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)

المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.

20-المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطِيَّةِ، المؤلف: نصر (أبو الوفاء) ابن الشيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشافعيّ (المتوفى: 1291هـ)،تحقيق وتعليق: الدكتور طه عبد المقصود،الناشر: مكتبة السنة، القاهرة،الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

21-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،المؤلف: رمضان عبد التواب،الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة 1417هـ - 1997م.

22-المذكر والمؤنث المؤلف: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطن بن دعامة الأنباري (المتوفى: 328 هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة مراجعة: د. رمضان عبد التواب الناشر: جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث سنة النشر: 1401 هـ - 1981 م.

23-المقتضب المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب. – بيروت.

24-معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل السامرائي الناشر جامعة بغداد 1980، الطبعة الأولى 1401هـ -1981م.

25-معاني القرآن للفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)
المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

26-مفردات ألفاظ القرآن،تأليف العلامة الراغب الأصفهاني ت425هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الناشر طليعة النور، الطبعة الثانية 1327هـ.

27-الممتع الكبير في التصريف المؤلف: علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: 669هـ)، الناشر: مكتبة لبنان الطبعة: الأولى 1996.

28-النحو الوافي المؤلف: عباس حسن (المتوفى: 1398هـ)الناشر: دار المعارف الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.ب.ت.